نهى الغندور

والتقينا مجددا

استيقظت منى في تمام الساعة السادسة صباحا، بدأت تفتح عينيها برقة طفل لا يتعدى عمره شهرين، وصاحب ذلك ابتسامة خفيفة على وجهها لتكشف عن غمازتها اليمنى، وبدأت تتحسس صدرها الذي تزينه قلادة ذهبية تحمل أول حروف الأبجدية الإنجليزية. كان أول أيام إجازتها بعد شهر مرهق من الإعداد لحملة إعلانية جديدة في الشركة التي تعمل بها، ثم انقلبت بخفة للجانب الأيسر وانسابت خصلات شعرها الشديد السواد، لتجد أدهم بجوارها على فراشهما السرمدي. . بدأت تتحسس وجهه بيديها وطبعت قبلة حارة وهادئة نوعا ما على وجنته اليسرى والتي تكسوها لحيته تلك التي جذبتها منذ أول يوم التقيا، كانت قبلتها مليئة بشوق عمر كامل، ثم قبلت عينيه. . سرحت قليلا في وجهه وتذكرت لقاءهما الأول منذ أكثر من خمسة عشر عاما وانقلبت مرة أخرى إلى الجهة اليمنى لتفتح درج الكومود المقابل لها وتخرج منه مفكرة يبدو أنها قديمة نوعا ما وفتحت صفحة عنوانها -عيناه متاهة- وبدأت تقرا قراءة بصرية حتى لا توقظه:

عيناه متاهة. . واسعتان. . لونهما بني، يميل إلى العسلي أحيانا، يأخذونك في رحلة عبر عالم آخر، ربما إذا بدأت الرحلة لا تعلم متى ستعود، ستظل تبحر بهما بدون شراعين حتى تغرق، ذاك السحر الأخاذ الذي لا تعلم له بداية من نهاية، بدأ حديثه بنظرة وصمت ثم تكلم فعشقت الصوت الصوت الذي تسرب إلى أذنيها تدريجيا.

همس بكلماته الحانية ذهبت روحها إليه ظلت تبحث في ثنايا عينيه عن حكاية ربما تشبهها تمنت لو لحظات يتوقف الزمن وتصير ملكه أو يصير ملكها تمنت لو لم تكن ف حياته امرأة أخرى تمنت أن تكون الأولى والأخيرة

ولكن لسوء حظها ربما أو لهول القدر متزوج هو.
من عاداتها ألا ترغب في أن تمتلك ما ليس لها لكنها صارت حاقدة أو ناقمة على تلك المرآة التي تتوسد صدره ليلا ونهارا.
كيف لمرأة أخرى تغفو على كتفه وتشاركه لحظات السهر والسهاد كيف لمرأة أخرى يحق لها أن تلمس كل أجزاء جسده بلا حرج ولا كلفة ويمتزجان في لحظة توحدية. . . حتى لو كانت زوجته هذا ليس مبررا كافيا في عقيدة عشقها له.
هي تشعر بأن هذه المساحة خلقت خصيصا لها ولا يحق لأي مخلوق آخر أن يتقاسمها معها.
لا تؤمن بالحب من أول نظرة ولكنها أحبته رغما عنها. . حقا كما كان يقال في الحب لا لوم ولا عقل.
تلك اللحظة التي تحب شخصا ويمتلكك دون أن تحسب الحسابات التقليدية.
من هو مرتبط أم لا؟
من عائلته؟
ماذا يعمل؟
كم عمره؟
تلك الأسئلة التي تخضع لمنطق العقل ولا يمكن أن تكون جزءا من منطق العاطفة فالعاطفة لها منطق خاص وقانون مختلف.
قلبت الصفحات قليلا لتفتحتها على عنوان -هو فقط-.
ما يميز وجهه غمازتين ربما غمازته اليمنى تبرز نوعا ما عن غمازته اليسري وكلتاهما تكسوهما لحيته السوداء التي تتخللها بعض الشعيرات البيضاء

الخفيفة معلنة عن اقترابه من عقده الرابع والتي لا يلحظها سوى من أدمن النظر إليه.
خفيفة شعيرات رأسه هو ليس بصلع بمفهومه التقليدي ولكن ربما بداية جديدة تحمل خبرات رجل ناضج.
أول مرة تدرك حقيقة أن الصلع من علامات الجاذبية.
تميزه أيضا تلك الحسنات السوداء. . لمحتها تتناثر حول عنقه. . اثنتان واضحتان وبارزتان قليلا واثنتان تدركهما عندما تمعن النظر للحظات وتكسو إحدى الحسنيتن البارزتين باقي شعيرات لحيته التي غطت تماما تفاحة آدم البارزة قليلا في منتصف عنقه ليكتمل النموذج كأيقونة جمال.
غالبا لا يقاس الرجل بجمال شكله أو هكذا نشأت السيدات منذ قديم الأزل على تلك العادة الموروثة أن الرجل تميزه شخصيته وأحيانا نجاحه أو نقوده لكن في قانونها كانت تراه يوسفها وهي امرأة العزيز.
خافت قليلا من تصارع نفسها اللوامة مع الأمارة بالسوء خافت أن تلقاه بمفردها.
هي التي كانت تعلم جيدا كيف تكون أكثر ملائكية وطوال عمرها لم تصل لمرحلة بهيمية ولكن اليوم. . تخشى الوقوع في الهاوية التي تخطو إليها بثبات.
قلبت الصفحات سريعا لتصل لمنتصف المفكرة ومرت ببصرها على عنوان -قرار حاسم وبعد- ثم سرحت قليلا.
تذكرت يوم أن قررت أن تختفي من حياته وسافرت خارج البلاد لإكمال دراستها لتنسى حبا أرادت أن تقتله قبل أن يولد وأغاني فيروز التي صاحبتها في غربتها خصوصا أغنية (اهواك بلا امل)

وانهت قرائتها بآخر صفحة والتي كانت تحمل عنوان -والتقينا مجددا-. تذكرت عودتها بعد خمسة أعوام لتجده في انتظارها وقد انفصل عن زوجته ولم تكن منى سببا في ذلك لم يستطع أدهم أن يكمل حياته في زواج تقليدي كانت بدايته خاطئة ولم يتخلله الحب أو التفاهم ربما أراد القدر أن يبتسم أخيرا في وجه منى بعد معاناتها.

وقبل أن يفاجئها صوت المنبه بأن الساعة السابعة صباحا وعليها النهوض لإعداد طعام الإفطار لحبيبها وزوجها ولتلك الجميلتين فريدة وجميلة فاجأها أدهم وهو يفتح عينيه رويدا رويدا ويقول بصوت يتخلله النعاس ويمتزج كثيرا بالنوم: وحشتيني أووووووي.

قبلت جبينه وقالت: انت وحشتني أكتر جدا. . ثم أكملت. . تعرف أنا كل مرة بحس إني في حلم جميل أوي ومش عاوزة أصحى أبدا منه مبصدقش إنه خلاص انت معايا بجد وجنبي وأبو بناتي.

لامس جسدها بيده الحانية وتحسس خصيلات شعرها الناعمة ببطء وبدا بتقبيلها ومداعبتها تلك المداعبات التي ما تنتهي دوما بممارسة جنس صباحية وتتسللت فيما بعدها بخفة لتأخذ حماما دافئا وتحضر طعام الإفطار لهما وتوقظ الفتاتين للذهاب للمدرسة وبعد أن ودعت زوجها قبل ذهابه لعمله بدأت في أعداد فنجان قهوة لترتشفه على مهل وهي تستمع إلى أغنية فيروز. . إيه في أمل.

****